

تأثير العولمة على اللغة العربية

الدكتورة: العالية حبار
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان-الجزائر

الملخص:

تأتي أهمية موضوعنا هذا كونه يتعرض لظاهرة مهمة انتشرت بكثرة في العالم بأكمله وهي ظاهرة العولمة، التي اتخذت أبعادا جديدة واكتسبت مضامين حديثة وأثرت تأثيرا بليغا في اللغة العربية. ولو حاولنا معرفة تأثير العولمة على اللغة العربية قد نذهل بالنتائج، فنجد الانتشار الرهيب لبعض الكلمات الأجنبية على حساب اللغة العربية، والأدهى من تلك انتصار الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات التجارية، كما أننا نلاحظ أن اللغة العربية يجرى إزاحتها من الحياة اليومية للغة الإنجليزية سواء في الكلام أو وسائل الإعلام بل حتى في لغة التعليم الكلمات الافتتاحية: العولمة، اللغة العربية، التطور العلمي والحضاري.

Summary:

The importance of our topic comes from the fact that it is exposed to an important phenomenon that has spread widely in the entire world, which is the phenomenon of globalization, which has taken on new dimensions and acquired modern implications, and has had a great impact on the Arabic language.

And if we tried to know the impact of globalization on the Arabic language, we might be amazed by the results, and we find the terrible spread of some foreign words at the expense of the Arabic language, and worse than that, the victory of foreign names on the fronts of the shops, as we note that the Arabic language is being removed from the daily life of the English language, whether in speech or media, even in the language of education

Key words: globalization, the Arabic language, scientific and civilizational development.

مقدمة :

تحظى اللغة العربية بمكانة مرموقة بين لغات العالم، باعتبارها اللغة الأم، فهي اللغة التي اختارها الله لينزل بها أفضل كتبه على أفضل رسله، و مما لا شك فيه أنها تؤدي دورا مهما في حياة الأمم وتاريخها، حيث هي ماضيها وحاضرها ومستقبلها وصورتها، وفكرها وروحها ومصيرها، فلا وجود لأمة بغير وجود اللغة، إذ يتم بها التواصل بين أبناء المجتمع، وعن طريقها يكتسب الناس خبراتهم ومهاراتهم وتنمو معارفهم، ويرتبطون فيما بينهم بترائهم وحضاراتهم، ويتواصلون مع ركب الحضارة والتطور. لقد واجهت اللغة العربية تحديات ضخمة على مستويات عديدة في نظام العولمة باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية، فالعولمة هي مصطلح أكثر انتشارا في كل مجالات الحياة.

1- مفهوم العولمة :

العولمة لفظ مشتق من الفعل عولم، على وزن فَوَعَلَ، وهي أيضا مشتق من الصيغة الصرفية فوعلة، التي تدل على تحول الشيء إلى صورة أخرى، كما أنه مصطلح يصعب فيه الإرتكان إلى المدلولات اللغوية، فهو مفهوم شمولي يذهب عميقا في جميع الاتجاهات المختلفة لتوصيف حركة التغيير المتواصلة¹.

و العولمة هي جعل الشيء أيًا كان هذا الشيء عالميًا، أو إكسابه صفة العالمية، وهو المعنى الذي أجازته مجمع اللغة العربية بالقاهرة².

ويرى الدكتور صدقي الدجاني أن العولمة مشتقة من الفعل عولم، واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم³.

و العولمة ترجمة لكلمة Mondialisation الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنما هي ترجمة Globalisation الانجليزية، التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالمًا واحدًا موجّهًا توجيهاً واحداً في إطار حضارة واحدة⁴.

إن العولمة كلمة تعترضها الضبابية ويشوبها الغموض والجدل بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وهي ظاهرة من الظواهر الكبرى ذات الأبعاد والتجليات والظواهر الكبرى، توصف أكثر من أن تعرف فلا تعريف متفق عليه، و الصياغة تعريف تقريبي نجد أنفسنا أمام كمّ من التعريفات التي تنطوي تحت رخاوة هذا اللفظ، وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر من خلالها الباحثون، وبسبب تباين إدراكهم لمفهوم هذه الظاهرة وخفاياها.

وقد جرى العرف السائد في الأدبيات الغربية على تعريف العولمة، بأنها زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال، و تقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات⁵.

أما المغتربون والعلمانيون العرب فيعرفونها بأنها تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية، إنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية⁶.

2-النشأة والتطور :

الواقع أنه يصعب تحديد تاريخ دقيق لولادة العولمة، وذلك يعود إلى اختلاف التعريفات لمصطلح العولمة، والذي تحيط به الضبابية من كل جانب، ففهم العولمة ليس بالأمر السهل، إذ أن الفهم الصحيح لمفهوم العولمة يتطلب منا فهم العمق التاريخي لها، لذا اختلف الباحثون في تاريخ نشأة العولمة مثلما هو الحال في اختلافهم من ناحية تعريفها، فمن تلك الاختلافات نجد آراء بعض الباحثين والعلماء أمثال الدكتورة دوقان عبيدات، الذي ينظر إلى ظاهرة العولمة على أنها ظهرت في أشكال متعددة منذ بداية التاريخ الإنساني أو الحضارة الإنسانية، فاليونانيون حين نشروا أفكارهم الفلسفية كأفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو، فإن هذه الأفكار عمت لدى عدد من الشعوب، فالمسلمون تأثروا بهذه الأفكار و ترجموها إلى اللغة العربية، واستخدموا مصطلحات فلسفية كما استخدمها اليونانيون⁷.

وهناك من يرى أن العولمة " ترجع جذورها إلى فتوحات الفراعنة القدماء، سواء في رحلاتهم إلى بلاد بونت (الصومال)، أو في رحلاتهم إلى بلاد الفينيقيين " الشام " حالياً، أو في غزوهم للمجهول البعيد الشاسع كما تدل عليه آثارهم .

ولعل الإرهاصات الأولى لميلاد المصطلح تعود إلى فترة الوفاق التي سادت فترة السبعينات، بعد انتهاء الحرب الباردة التي كانت مشتتة بين القطبين الرئيسيين "الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي" و انتهت بتفكك الإتحاد السوفياتي والكتل الاشتراكية، وفي الوقت ذاته، امتدت مظاهر الثقافة الأمريكية، وسيطرة المعلوماتية إلى تزايد الاهتمام بالعملة⁸.

وفي مفهومنا المعاصر تعني الأمركة في حقيقتها، والتي تجلت أهدافها بوضوح في مطلع التسعينات، وفق مصالح وتوجهات حددتها إدارة الولايات المتحدة الأمريكية، وحمل قيمتها نحو كل بقاع العالم، والسعي إلى إخضاع دول العالم عامة، فهي أقوى مساهم في قيادة العالم.

وقد توسعت مجالاتها وزوايا تناولها في العصر الحالي تبعاً لتنوع أنماط النشاط الممارس من قبل الإنسان، ويمكن اختصارها في أربعة أنواع هي، العملة الاجتماعية، والعملة السياسية، والعملة الثقافية، والعملة الاقتصادية.

فالعملة الثقافية La globalisation de la culture تتم على مستوى المحتويات المنبثقة عبر وسائل الاتصال التكنولوجية الصانعة للمجتمع العالمي على حد تعبير "برينسكي"، ويؤكد ذلك الانثروبولوجي الهندي أرجون أبادوري ArjunAppdurai قائلا: "أنَّ عملة الثقافة ليست بالضرورة عملية تجانس، لأن العملة تتطلب أجهزة متنوعة لإحداث المجانسة كالسلاح، وتقنيات الإشهار، واللغات ونماذج الملابس، التي تتم نشرها من طرف الاقتصاديات السياسية والثقافات المحلية"⁹.

ويذهب آخرون بقولهم أنها سيطرة الغرب على الثقافات الأخرى من خلال استثمار مكتسبات العلوم الثقافية في ميدان الاتصال¹⁰، وهذا يستند إلى الثورة الهائلة في تقنية الاتصال، خاصة في مجالي شبكة المعلوماتية الدولية وتقنية الاتصالات الفضائية بمختلف أشكالها، حيث استطاعت هذه التقنية اختراق الحصون المنيعه للثقافات وعقائد المجتمعات، وأن تفتح عنصراً جديداً من الغزو الثقافي لا يمكن تصور نهايته، حيث لم يعد أمام الفرد أي حدود للوصول إلى المعلومات أياً كان نوعها وخطورتها.

ولا يخفى علينا تأثير العملة المكونات الثقافية للشعوب، ومحاولة تنميط العالم وجعله واحداً في السلوك والذوق والعادات، دون تقدير لثقافة هذه الشعوب وخصوصياتها، وأدى هذا الأمر إلى قلق بعض المفكرين من بينهم وزير الخارجية الكندي حيث قال: "لئن كان الاحتكار أمر سيئ في صناعة استهلاكية، فهو أسوأ على أقصى درجة في صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار، وإنما تثبيت الأفكار أيضاً"، لأنها محاولة نقل ثقافة الغرب، وبالتحديد الثقافة الأمريكية إلى معظم شعوب ودول العالم، حيث يسعون إلى تغيير نمط المجتمع في تناول طعامه وشرابه، وإقباله على وجبات لم يكن يعرفها، إلى جانب طريقة تأيئته لمنزله وخروجه ونزهته مع أولاده¹¹.

3-أهداف العملة :

للعولمة أهداف ثقافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، يمكن عرضها في النقاط الآتية¹² :

✓ إعادة تكوين فكر الإنسان، وتغيير مفاهيمه وقيمه الأخلاقية لتحل محلها المادة وثقافة الاستهلاك¹³.

✓ أن تتخلى كل أمة عن شخصيتها وعقيدتها ومبادئها، والأخذ بأنماط سلوك الغرب¹⁴.

- ✓ تدمير العمق الثقافي للأمة و إلغاء هويتها، وتجريدها من عمقها الروحي و الثقافي و تحويلها إلى خامة طبيعية قابلة لإعادة الصياغة.
- ✓ استغلال خيرات العالم كله، و تقديمه على مائدة من فضة إلى بضع عائلات تتحكم في اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية و العالم كله¹⁵.
- ✓ إلغاء الآخر و تحقيق التبعية و كسب الثروة و النفوذ.
- ✓ تغيير مفهوم الأسرة القائم على الأسس الدينية و القيم الاجتماعية الفطرية، ليشمل أنماطا من السلوكيات التي تم تبنيها في المجتمع الغربي بوجه عام.
- ✓ فرض السيطرة السياسية الغربية على بعض الأنظمة الحاكمة و الشعوب التابعة لها¹⁶.
- ✓ القضاء على التعليم و الثقافة الإسلامية.
- ✓ استبعاد الإسلام و إقصاءه عن الحكم و التشريع، و عن التربية و الأخلاق، و إفساح المجال للنظم والقوانين و القيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية و العلمانية و البرجماتية¹⁷.

4-العولمة و العالمية :

يخلط العديد منا بين مصطلحين هامين و هما العولمة و العالمية على أنهما وجهان لعملة واحدة، و هذا أمر خاطئ، فالعولمة تختلف إلى حد كبير عن العالمية، و لكننا سنجد أن مصطلح العولمة مصطلح مستجد عن العالمية، و قد تم العمل على اخذ ذلك المصطلح عن العالم .

و لكي نتعرف على الفرق بين العولمة و العالمية، لابد في بادئ الأمر التعرف على الفرق في المصطلح الخاص بكل منهم، فالعولمة هي الانفتاح على العالم و الاحتكاك بشكل كبير بالثقافات المختلفة على مستوى العالم على أن تحتفظ الأمة التي تتمتع بأنظمة الانفتاح على العالم بخصوصياتها و الفكر و المبادئ الخاصة بها ، أي أن العالمية تعني في مجملها الانفتاح على الآخر و لكن مع الاحتفاظ بالهوية الخاصة .

و نتيجة لذلك الانفتاح، تعد العالمية خاصية من الخصائص التي قد ميزت الدين الإسلامي، حيث أنه بُعث للعالمين و ليس لعرق أو جنس بعينه، فقد خاطب الله عز و جل الناس في كتابه الحكيم جميعاً، و لم يكن لقوم بعينهم و السبب في التخلف عن الركب الحضاري الحالي، هو إقصاء الدين الإسلامي عن العالمية و عدم الزج به في العديد من الأمور الحياتية¹⁸.

أما العولمة فهي بعيدة كل البعد عن هذا المصطلح (العالمية)، فالعولمة هي انسلاخ الأمة عن القيم و المبادئ الخاصة بها، و العمل على إلغاء شخصية أمة بحالها و ذوبانها في أمم أخرى فهي تقضي على الخصوصيات الخاصة بأمة، و تكريس حب الأنانية¹⁹.

5- تأثير العولمة على اللغة العربية :

يظهر تأثير العولمة على اللغة العربية من خلال طغيان اللغة الانجليزية على حساب العربية في الاسرة و المدرسة، و الجامعة و الإعلام و الترجمة و التأليف، و يخيل هذا أن اللغة العربية قد عجزت مفرداتها عن التعبير الصحيح السليم للصور و المشاهدات، و من مظاهرها في التربية و التعليم انتشار المدارس التي تدرس باللغة الانجليزية و ازدياد أعدادها سنة بعد سنة، و اعتمادها على مناهج غير عربية، و مثال ذلك تبني

العديد من القنوات الفضائية العربية برامج غربية شكلا و مضمونا، superstar. academy star، إضافة إلى استعمال المصطلحات الانجليزية أثناء الكلام باللغة العربية²⁰.

و الحقيقة التي يقرها الجميع أن اللغة الانجليزية هي اللغة الأكثر انتشارا بين سكان العالم، وساعد انتشار الانجليزية الإعلام وتطور وسائله بصورة غير مسبوقة، ثم جاء النفوذ اللغوي للأغاني والأزياء، كما تعتبر في كثير من المنظمات الدولية هي اللغة الدبلوماسية بين أعضائها²¹.

وتتمثل هيمنة الإنجليزية في العالم العربي كغيرها من دول العالم ما يلي²²:

- 1- تعليمها في مراحل الطفولة المبكرة .
- 2- استخدامها لغة رئيسية في المدارس الخاصة إذ تُدرس بها جميع المواد من التربية الوطنية .
- 3- اعتمادها لغة رسمية في المعاملات التجارية والقانونية التي تنفذها الدول والشركات والمؤسسات العامة والخاصة .

بالإضافة إلى التحديات التي تواجهها العربية وأخطرها " الغزو الصناعي "، ويتمثل في اقتناء منتوجات وأدوات غربية واستهلاكها بمسمياتها دون النظر في نتائجها .

ففي عصر التفجر المعرفي والمعلوماتي، أصبحت لغتنا العربية تعاني من أزمة حادة، وهذه الأزمة مرشحة للاتساع والتفاقم تحت ضغط المطالب الملحة لعصر المعلومات²³.

و من أوجه التأثير استعمال الأسماء الإنجليزية للتشكيلات الجديدة للأزياء، و تقاليد الطعام والمواد الغذائية الحديثة، و الأدوية المصنوعة في الدول العربية، و شركات و المؤسسات التجارية وكذلك اعتماد التسمية غير العربية لأسماء البلدان العربية بدلاً من التمسك بالاسم العربي الأصيل .

خاتمة :

يتضح لنا أن العولمة مصطلح غربي يحمل في طياته كثيراً من السيطرة و الغطرسة، و على الرغم من الاختلاف في نشأة هذا المصطلح، تبقى العولمة صناعة أمريكية وضعت استراتيجياتها منذ زمن بعيد، و هي تحاول جاهدة القضاء على لغتنا العربية بشتى الطرق لذا وجب علينا تجنب هذا الخطر الذي اكتسح لغتنا العربية بتحديات صارمة و تجنيد كل الإمكانيات لمواجهةته .

هوامش البحث:

¹ محمد فتح الله، العولمة وأثارها على العالم الاسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي، الدوحة قطر، 2002-2003 الدورة الرابعة عشرة، ص 02.

² محمد فهدى حجازي، لغويات، محلية الهلال، مارس 2001، ص 87.

³ أحمد صدقي الدجاني وآخرون، العرب و العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط1 1998، ص 26.

⁴ علاء زهير عبد الجواد رواشدة، العولمة ، العولمة و المجتمع، ص 15.

⁵ بكار عبد الكريم، العولمة، طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، الاردن، دار الاعلام للنشر و التوزيع 1421-2000 م، ط1.

⁶ محمد الجوهري محمد، العولمة و الثقافة الاسلامية، دار الأمين للنشر 1422 هـ - 2002 م، ط1، القاهرة، ص 28.

⁷ زوفان عبيدات، شبابنا أين نحن من العولمة، وزارة المعارف، عمان الاردن، ط1 2000، ص 13

⁸ مجموعة النيل العربية، كتاب العولمة، ط1.

⁹ armand ,mattelart, la communication monde histoire des idées et des stratégies , la découverte , pars 1992 , p 282 .

- ¹⁰ د. عاطف، العولمة في ميزان الفكر، الاسكندرية، مطبعة الانتصار، 2001.
- ¹¹ من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي، العولمة في ميزان الاسلام، ص 22.
- ¹² نفس المرجع، ص 27.
- ¹³ السمحراني أسعد، ويلات العولمة على الدين و اللغة و الثقافة، بيروت، دار النفايس، 1424 هـ – 25003 م، ص 09.
- ¹⁴ من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي، العولمة في ميزان الاسلام، ص 12.
- ¹⁵ السمحراني، مرجع سابق، ص 16.
- ¹⁶ ابوزعرور، محمد السعيد، العولمة ن دار البيارق ط1، 1998، ص 36.
- ¹⁷ المبروك، محمد ابراهيم وآخرون، الاسلام و العولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، ط 1999، ص 96.
- ¹⁸ <http://almarsal.com/>
- ¹⁹ نفس المرجع .
- ²⁰ محمد صايل نصر الله الزبود، تأثير العولمة على الثقافة العربية <http://ARABTHOUGHT.ORG/CONTENT/%D8/>
- ²¹ مرداسي الجودي، اللغة العربية وتحديات العولمة، سلسلة أعمال الملتقيات، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث و الترجمة، جامعة قسنطينة، 2010، ص 235.
- ²² اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، وليد ابراهيم الحاج ص 263.
- ²³ اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، وليد ابراهيم الحاج ص 19.